

الأزمة السورية.. طريق السلام الشائك بعد «عشرية سوداء»

أي مساع جدية لطي صفحة النزاع نهائياً تمر عبر بوابة التفاهات بين القوى العظمى



باق وإن كره المعارضون

الأرشيف الرقمي للحرب السورية مهدد بالاندثار

أي محتوى يعارض المعايير المعتمدة من المنصة، كمشاهد العنف والدماء، فإنزل مئات الآلاف من المقاطع المصورة في سوريا. وكانت هذه المقاطع المصورة وثقت الضربات الجوية التي نفذتها قوات النظام على معالق الفصائل المعارضة، وما خلفته من قتلى وجرحى في صفوف المدنيين والأطفال ومن دمار. ونقلت للعالم مشاهد قاسية من هجمات باسلة كيميائية أتهمت دمشق بشنها. كما أظهرت وحشية الجهاديين الذين استولوا على مناطق واسعة في سوريا ونفذوا إعدامات غير مسبوقة.



ضياء كياتي
الشعور السائد أن هناك نية لإزالة جزء من التاريخ السوري

ويشكّل مقاطع الفيديو التي التقط معظمها شبان سوريون على الأرض، مرجعاً لصحافيين ومحققين للاطلاع على ما يجري في بلد يشهد نزاعاً تعددت أطرافه ولم يكن دخول صحافيين مستقّلين إليه متاحاً في كل المراحل. ويقول جيلان «تشكّل الفيديوهات جزءاً من ذاكرة شعب كامل. كل مقطع يذكرنا بكل ذبذبة استشهدت، بتاريخ الحدث، حتى بما شعرنا به يومها». وبعدما حذف يوتيوب قبل أربع سنوات محتوى حملة «الرقّة تدبّح بصمت» تمكن القيمين عليها من استعادته بمساعدة من مبادرة «الأرشيف السوري».

وتهدف المبادرة إلى الحفاظ على «الوثائق المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان والجرائم الأخرى المرتكبة من جميع أطراف النزاع في سوريا بهدف استخدامها في قضايا المناصرة والعدالة والمساءلة القانونية».

وتعد المبادرة أحد مشاريع منظمة «ميدوميك» الدولية لأرشفة المواد الرقمية المهتدة بالاختفاء. وتمكنت منذ عام 2017، من إنقاذ أكثر من 650 ألف مقطع مصور على يوتيوب، وهو جزء بسيط جداً مما تمّ حذفه. ويقول ضياء كياتي من المنظمة «قمة شعور حقيقي لدى من يعمل في مجال التحقيقات عبر المصادر المفتوحة بأنه هناك نية لإزالة التاريخ السوري.. إنها عملية نرف ثابتة ومستمرة لمجموعة أدلة».

في أواخر فبراير الماضي، قضت محكمة ألمانيا بالسجن أربع سنوات ونصف السنة لعضو سابق في الاستخبارات السورية بعد إدانته بتهمة «التواطؤ في جرائم ضد الإنسانية». في إطار أول محاكمة في العالم تتعلق بانتهاكات منسوبة إلى نظام الأسد.

لكنّ بشار الأسد البالغ 55 عاماً والموجود في السلطة منذ العام 2000 ودائرته الضيقة ما زالا يعيدان عن أي مساع، لا بل يستعد لخوض انتخابات لولاية رئاسية رابعة الصيف المقبل يرجح أن يفوز بها، في وقت لم تنضم الجهود الدولية المبذولة في التوصل إلى تسوية سياسية لإنهاء النزاع.

ومن دون تسوية سياسية تحت سقف الأمم المتحدة، لن تتمكن دمشق من استقطاب المنظمات الدولية والجهات المناهضة لدعمها في عملية استنهاض الاقتصاد المنهك وتمويل عمليات إعادة الإعمار، فيما يبدو أن حلفاء دمشق لا يملكون موارد كافية لذلك.

ويقول رئيس بعثة الاتحاد الأوروبي إلى سوريا جيل برتران «سوريا واحدة من البلدان الشابة في المنطقة، ونسبة كبيرة من سكانها لم تكن قد ولدت حتى في العام 2011».

ويكسر فيديوهات كثيرة تمكن ناشطون من استعادتها، لم يكن ممكناً إنقاذ أرشيف المعتز بالله، الناشط الذي انتقله تنظيم داعش المتطرف عام 2014 في الرقة وأعدمه جراء نشاطه التوثيقي. ويقول سرمد جيلان، صديق المعتز بالله، وهو لاجئ حالياً في ألمانيا «لم تكن مجرد فيديوهات تمّ حذفها، بل هي أرشيف كامل لحياتنا».

ويضيف جيلان، وهو أحد مؤسسي حملة «الرقّة تدبّح بصمت»، المنصة الأبرز التي وثقت انتهاكات داعش في مدينة الرقة، معقل الجهاديين السابق في سوريا، «تشعر وكأن جزءاً من ذاكرتك المرئية محيّ تماماً. وعلى غرار شركات أخرى، أطلقت يوتيوب، المنصة التي استخدمها معظم الناشطين السوريين لتحميل مقاطع الفيديو، في 2017، برنامج تشغيل ذاتي لرصد وحذف

في أواخر فبراير الماضي، قضت محكمة ألمانيا بالسجن أربع سنوات ونصف السنة لعضو سابق في الاستخبارات السورية بعد إدانته بتهمة «التواطؤ في جرائم ضد الإنسانية». في إطار أول محاكمة في العالم تتعلق بانتهاكات منسوبة إلى نظام الأسد.

لكنّ بشار الأسد البالغ 55 عاماً والموجود في السلطة منذ العام 2000 ودائرته الضيقة ما زالا يعيدان عن أي مساع، لا بل يستعد لخوض انتخابات لولاية رئاسية رابعة الصيف المقبل يرجح أن يفوز بها، في وقت لم تنضم الجهود الدولية المبذولة في التوصل إلى تسوية سياسية لإنهاء النزاع.

ومن دون تسوية سياسية تحت سقف الأمم المتحدة، لن تتمكن دمشق من استقطاب المنظمات الدولية والجهات المناهضة لدعمها في عملية استنهاض الاقتصاد المنهك وتمويل عمليات إعادة الإعمار، فيما يبدو أن حلفاء دمشق لا يملكون موارد كافية لذلك.

ويقول رئيس بعثة الاتحاد الأوروبي إلى سوريا جيل برتران «سوريا واحدة من البلدان الشابة في المنطقة، ونسبة كبيرة من سكانها لم تكن قد ولدت حتى في العام 2011».

ويكسر فيديوهات كثيرة تمكن ناشطون من استعادتها، لم يكن ممكناً إنقاذ أرشيف المعتز بالله، الناشط الذي انتقله تنظيم داعش المتطرف عام 2014 في الرقة وأعدمه جراء نشاطه التوثيقي. ويقول سرمد جيلان، صديق المعتز بالله، وهو لاجئ حالياً في ألمانيا «لم تكن مجرد فيديوهات تمّ حذفها، بل هي أرشيف كامل لحياتنا».

ويضيف جيلان، وهو أحد مؤسسي حملة «الرقّة تدبّح بصمت»، المنصة الأبرز التي وثقت انتهاكات داعش في مدينة الرقة، معقل الجهاديين السابق في سوريا، «تشعر وكأن جزءاً من ذاكرتك المرئية محيّ تماماً. وعلى غرار شركات أخرى، أطلقت يوتيوب، المنصة التي استخدمها معظم الناشطين السوريين لتحميل مقاطع الفيديو، في 2017، برنامج تشغيل ذاتي لرصد وحذف

في أواخر فبراير الماضي، قضت محكمة ألمانيا بالسجن أربع سنوات ونصف السنة لعضو سابق في الاستخبارات السورية بعد إدانته بتهمة «التواطؤ في جرائم ضد الإنسانية». في إطار أول محاكمة في العالم تتعلق بانتهاكات منسوبة إلى نظام الأسد.

قد فقدت سيطرتها على نحو 80 في المئة من مساحة سوريا تشمل مدناً رئيسية وحقولاً للنفط، ووصلت فصائل المعارضة إلى أعتاب دمشق.

سيطرة مهزوزة

في مقابلة مع وكالة الصحافة الفرنسية في فبراير 2016، أكد الأسد أن هدفه ليس أقل من استعادة كامل الأراضي السورية. وقال «سواء كانت لدينا استضافة أم لم يكن، هذا هدف سنعمل عليه من دون تردد. من غير المنطقي أن نقول إن هناك جزءاً سنحتلّ عنه».

ويسيطر النظام اليوم على أقل من ثلثي مساحة البلاد، لكن المشهد ليس براقاً بالنسبة إليه لدى معاينة خارطة السيادة على حدود البلاد. ويوضح الباحث المتخصص في الجغرافيا السورية فابريس بالانش في تقرير نشره مؤخراً، أنّ القوات الحكومية «تسيطر على 15 في المئة فقط من حدود سوريا». ويقول إن «الحدود هي رمز السيادة بامتياز، وبطاقة أداء النظام لا تزال فارغة تقريباً على تلك الجبهة».

في المقابل، تسيطر القوات التركية والأميركية والكردية أو المجموعات المدعومة من طهران، بحكم الأمر الواقع، على ما تبقى من الحدود. ويعتبر بالانش أنّ القوى الخارجية «تقسّم البلاد بشكل غير رسمي إلى مناطق نفوذ، وتسيطر أحادياً على معظم حدودها».

وفي بودكاست بثته مجموعة الأزمات الدولية الشهر الماضي بعنوان «الصراع الجعدي» في سوريا، تقول الباحثة دارين خليفة «أفضل الخيارات السيئة المتاحة لدينا اليوم هو تمادي الجمود» القائم، معتبرة أنّ تجاوزه في محاولة لتسوية النزاع يمرّ عبر تحسين جزري للظروف المعيشية التي يواجهها الشعب السوري.

دمار في كل شيء

وفق الأمم المتحدة، يعاني نحو 60 في المئة من السكان حالياً، من انعدام الأمن الغذائي، في ظل الأزمة الاقتصادية الحادة التي فاقمتها عقوبات «قيصر» الأميركية، فقد خسرت الليرة 98 في المئة من قيمتها خلال عقد من الزمن. وقدر تقرير المنظمة الرئية العالمية هذا الشهر كلفة الحرب بنحو 1.2 تريليون دولار.

ولا يجد العديد من السوريين ما يتطلعون إليه في بلد باتت مقدراته بيد الموالين من الحرب والأجهزة الأمنية. ووسط هذا المشهد المحزن، شكّلت إمكانية تحقيق نوع من العدالة لضحايا النزاع بارة أمل لشريحة واسعة من السوريين.

بعد «عشرية سوداء» من العنف ومأساة إنسانية جعلت الحرب السورية تطبع بداية هذا القرن، تراجعت وتيرة المعارك التي ذكّتها أطراف، بدءاً من حلفاء نظام بشار الأسد مروراً بالجماعات الإرهابية ووصولاً إلى معارضي دمشق، لكن الجراح لا تزال تنزف. ورغم كل المحاولات الإقليمية والدولية لرأب الصدع في بلد ممزق، تبدو آفاق السلام بعيدة المنال.

كتابها «لا عودة إلى السوراء: الحياة والخسارة والأمل في سوريا زمن الحرب»، قائلته «تصدّع جدار الخوف العظيم وتحطم الصمت وكانت المواجهة وجودية للأطراف كافة، منذ بدايتها». وسرعان ما تحوّلت الاحتجاجات إلى نزاع دام أجبر نصف عدد سكان سوريا البالغ قرابة 22 مليون إلى مغادرة منازلهم، ووسط الفوضى التي ولدها النزاع المسلح، أعلن داعش، المجموعة الأكثر تطرفاً ووحشية في الجهاد الحديث، قيام «الخلافة الإسلامية» في سوريا والعراق المجاور.

ومع عسكرة النزاع، أرسلت إيران والولايات المتحدة، الخصمان اللدودان، قوات إلى سوريا لحماية مصالحهما، كذلك فعلت تركيا. وبدأت روسيا في سبتمبر 2015 أكبر تدخل عسكري خارج حدودها منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، في خطوة رجّحت الكفة لصالح الأسد. واستخدم نظام الأسد الأسلحة الكيميائية ضد مناطق مدنية لإخضاع جيوب المعارضة فيها، وشكّلت طائراته غارات كثيفة بالرميل المتفجرة على مناطق مأهولة بالسكان. واعتمد بشكل منهجي سياسات الحصار والتجويع لإخضاع خصومه. ولم يتردد سلاح الجو في تنفيذ الضربات ضد منشآت طبية.

وفي 2012، وصف الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما استخدام الأسد للأسلحة الكيميائية بـ«خط أحمر»، لكن عندما تمّ تجاوز هذا الخط بعد عام عبر هجوم كيميائي استهدف أضعفته أيضاً قرب دمشق، امتنع أوباما عن القيام بتدخل عسكري انتظره كثيرون، وشكّل ذلك لحظة حاسمة طبعته عهده وحالت دون توجيه ضربة قوية لنظام الأسد.

وكانت الفصائل المعارضة، التي قاتلت تحت رايات عدة وتلقّى بعضها تمويلاً وسلاحاً من الخارج، تمكنت في الستين الأوليين من إلحاق خسائر كبيرة بالجيش السوري الذي أضعفته أيضاً الاشتباكات، وبعد سنوات تحوّلت الغلبة إلى نظام الأسد الذي مارس سياسة «الأرض المحروقة».

وغير تدخل إيران المبكر والفصائل الموالية لها على رأسها حزب الله اللبناني، ومن ثمّ التدخل الروسي الحاسم عام 2015، المعادلات في الميدان تدريجياً لصالح الأسد، بعدما كانت قواته

دفع السوريون طيلة السنوات العشر الماضية تمناً باهلاً لتعتنق نظام بشار الأسد وإصراره على البقاء في السلطة، لكنهم مع ذلك لا يزالون ينتسبون لسلاماً قد لا يأتي، وهم يقترعون كارثة إنسانية منذ الحرب العالمية الثانية. ومرت سوريا بسلسلة من الأحداث، وبعد أن بدا وأن الأسد ونظامه قاب قوسين من السقوط في نهاية 2011، وسط ثورات «الربيع العربي» التي أطاحت بانظمة عدة حكمت بلادها لعقود بقبضة حديدية، ظل ممسكاً بالحكم ولم يوفر فرصة حقيقية لأي مصالحة مع الشعب، وهو يمارس اليوم سيادة محدودة على أرض باتت فريسة لقوى أجنبية متناحرة.



وفي ضوء ذلك، لا توجد أي مؤشرات حقيقية على أن البلد سيخرج من هذه الفوضى قريباً، فالحديث عن أي تسوية سياسية محتملة تجمع كافة المكونات أمر غير وارد، وثمة مراقبون يرون أن السلام رهين بتفاهات بين القوى الكبرى المتدخلة في النزاع.

الأرض المحروقة

استغرق اشتعال موجة الاحتجاجات وقتاً في سوريا حيث كان التظاهر محظوراً منذ نصف قرن، إلى أن انتقلت إليها من تونس ومصر وليبيا. وبدأت بعض التجمعات الأولى، على غرار الوقعات الاحتجاجية أمام السفارة الليبية في دمشق، بمثابة دعم للانتفاضة الجارية في بلدان أخرى، لا تحدياً مباشراً لعائلة الأسد التي حكمت البلاد خمسة عقود. وتصف الصحافية والكاتبة رانيا أبو زيد اللحظة التي أمست عليها عنوان

عودة اللاجئين في ظل الأسد سير بالطريق الخطأ

في الحكم، من المستحيل بالنسبة لينا العود. وغادر إسماعيل حلب عام 2013 مع أهله وأشقائه وشقيقاته وزوجته وأبنائهما «هرباً من البراميل المتفجرة التي كان يلقيها النظام على حيناً». وقاتل أحد أشقائه في عملية قصف. وهو يعترف أن العمل مزدهر، إلا أنه لن يتردد في العودة لبلده إذا سقط النظام، وقال «تركنا خلفنا متاجر ومنازل ومزرعة كبيرة».

سوري، أي شخصاً واحداً من كل خمسة مقيمين. ويتحدّر معظم السوريين فيها من مدينة حلب التي تبعد 110 كيلومتراً من الجانب الآخر من الحدود ومنقطعتها. ويقول إسماعيل عيطيني الذي يملك مع عائلته مطعماً في جادة إبنونو، أحد الشوارع التجارية الرئيسية في مدينة غازي عنتاب «أتمنى العودة إلى سوريا، لكنني أحاول في الوقت نفسه الحصول على الجنسية التركية، لأنه طالما أن الأسد



عازي عنتاب (تركيا) - أحدثت الأزمة السورية بعض التغييرات في التركيبة الديمغرافية للبلاد بشكل جوهري بعد أن لجأ الملايين من السوريين إلى العديد من الدول هرباً من قسوة الحرب، وهي حقيقة يجب الأخذ بها عند الحديث عن حل شامل للصراع الذي يقرب من دخول العشرية الثالثة.

ومع ذلك يعتبر الكثير من اللاجئين السوريين، حيث وضع بعضهم سيء للغاية والبعض الآخر أفضل حالاً، مسألة العودة لبلدهم سيرا في الطريق الخطأ ما لم يتنح بشار الأسد من السلطة، وهو أمر يبدو مستبعداً على الأقل حالياً بالنظر إلى تشعب حلول هذا الملف كونه محل خلافات بين القوى العظمى.

وتقارب السلطات في كل من لبنان وتركيا والأردن والعراق، البلدان التي تستضيف 5.2 مليون لاجئ سوري، ملف اللاجئين بوصفه عبئاً ثقيلاً من دون أي بوادر لحل سياسي قريب، فيما لا يزال نحو 6.7 مليون نازح داخل سوريا. ومن أصل حوالي سبعة ملايين سوري، بينهم 5.58 مليون مسجلين لدى قوائم الأمم المتحدة منذ 2011 سلكوا طريق الهجرة منذ بدء النزاع الذي يدخل عامه الحادي عشر في الخامس عشر من مارس الجاري، لجأ أكثر من 3.6 مليون إلى تركيا المجاورة، والذين أصبحوا ضيوفاً غير مرحب بهم رغم أنهم أحدثوا تغييراً ديمغرافياً عميقاً في المحافظات الحدودية على غرار غازي عنتاب وهاتاي. وبحسب الأرقام الرسمية، تحتضن غازي عنتاب حوالي 450 ألف لاجئ